توظيف الغموض اللفظي في الشعر العربي المعاصر

"أبو القاسم سعد الله" أنموذجا

Employing verbal ambiguity in contemporary Arabic poetry Abu Al-Qasim Saad Allah as a model

ضـــامري مصطفى [1]،

[1] جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان (الجزائر)، damrimustapha@gmail.com

تاريخ الإرسال: 21/05/2019 تاريخ القبول:18/02/2021 تاريخ النشر: مارس /2021

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة الغموض اللفظي، ودواعيه في الشعر العربي المعاصر باعتباره يمثل أحد الخصائص المميزة للتجربة الشعرية المعاصرة، ولأنه أصبح يشكل عضوا فنيا له صفاته وأسبابه، ويعبر عن الإنسان المعاصر بكل ما يعيشه من حالات شعورية وتناقضات انعكست بالضرورة على تجربته الشعرية، فعادت على النص الشعري بالغموض والإبهام أو أعطته ميزة عصرية جديدة.

الكلمات المفتاحية: الغموض اللفظي، الدلالي، التركيبي، الشعر العربي.

Abstract:

This research deals with the phenomenon of verbal ambiguity and its reasons in contemporary Arabic poetry as one of the characteristics characteristic of the contemporary poetic experience, and because it has become a technical member with its characteristics and causes, and expresses contemporary man with all his mental cases and contradictions reflecte and The contemporary man expresses all his emotional situations and contradictions, which necessarily reflected his poetic experience and it returned to the poetic text with ambiguity and thumb, or gave him a new modern feature.

Key words: verbal ambiguity, semantic, synthetic, Arabic poetry

المؤلف المرسل: ضامري مصطفى ،الايميل : **damrimustapha@gmail.com**

مقدمة:

لقد كثر الجدل بين المؤيدين والمعارضين لقضية الغموض في الشعر، وكانت الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة قليلة ومتناثرة، كما اهتمت تلك الدراسات القليلة بالجانب النظري وأهملت الجانب التطبيقـــي، ولذلك كان لزامـــا علينا تقديم مثل هذه الدراسة المتمثلة في الغموض اللفظي في الشعر العربي المعاصر.

إن الغموض لغة أشارت إليه المعاجم العربية من خلال استخداماته اللغوية المختلفة، فيقول "ابن منظور" في لسان العرب" جمع غَمَّض وهو خلاف الواضح، وقد غَمَضَ المكان وغَمُضَ الشيء يَغْمضُ غُمُوضاً: خَفِيَ [1]. وفي تهديب اللغة للزبيدي:" الغمضُ ما تَطامَن من الأرضِ، وجمعه غُمُوضٌ، ودار غَامِضَةٌ غَيرُ شَارِعَة، وأمر غَامِضٌ، وقد غَمضَ غُمُوضًا. [2]

أما الغموض من حيث كونه مصطلحا فقد زخرت به المصادر العربية والأجنبية القديمة والحديثة ، ولذلك سنعرض عددا من تعريفات الغموض اصطلاحا عند العرب أولا ثم عند الغرب.

فقد لخص عبد القاهر الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة " موقفه من ظاهرة التعقيد السلبي الناشيء عن الضعف والركاكة وسوء الفهم، كما أبرز الفرق بين الغموض والوضوح.يقول في ذلك :" وأما التعقيد فإنما كان مذموما لأجل أن اللفظ يرتب الترتيب الذي يمثله تحصل الدلالة على الغموض، حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى بأكمله، ويسعى إليه من غير الطريق ".[3] كما يشير عز الدين اسماعيل إلى ظاهرة الغموض في العصر الحديث فيقول " صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل مرحلة الصياغة اللغوية والنحوية "[4]

أما عند النقاد والدارسين الغربيين نذكر وليام أمبسون الشاعر والناقد الإنجليزي، أول من تحدث عن الغموض في كتابه " سبعة أنماط من الغموض" وقد عرف الغموض بأنه : " كل ما يسمع لعدد ردود الفعل الاختيارية إزاء قطعة لغوية واحدة " [5] فالغموض عنده يعتمد على تعدد المعنى، وكثرة الاحتمالات . كما يرى " وردوف" أن الغموض هو الصفة التي تجعل للحدث اللغوي معنيين مختلفين على الأقل".[6] فالغموض عنده في اختلاف المعاني وتعددها.

1 ـ الغموض اللفظي:

يعتبر الغموض اللفظي نمط من أنماط الغموض، وهو متعلق باللفظ بنوعيه الدلالي والتركيبي، وقد تطرق إليه عبد الرحمن القعود في كتابه " الإبهام في شعر الحداثة" وجعل له ثلاثة مظاهر: الغياب الدلالي، التشتت الدلالي، إبهام العلاقات اللغوية، لكنه تناوله من جانبه السلبي، أما جانبه الإيجابي فنجد خـــالد سليمـــان قد قسمه إلى غمـــوض لفظي دلالي وآخر تركـــيبي معتمدا على تجربة الشعراء وحالاتهم النفسية.

حاول الشعراء العرب أن يجددوا لغتهم، وأن يحرروا قصائدهم من قيود التقليد والقوالب القديمة التي تكبل حريتهم، فتعاملوا مع لغتهم تعاملا جديدا إذ لم تعد ألفاظ اللغة و تعابيرها تستعمل بدلالتها المعجمية المألوفة، بل أصبحت تستعمل في غير سياقها المتعارف عليه، ولذلك اكتسبت أبعادا وإيحاءات خاصة، وتجاوزت المعاني والصور القريبة إلى معان أوسع وأعمق.

ووعى الشعراء المعاصرون هذه الغاية، فبدؤوا يجتهدون في تشكيل أدواتهم التعبيرية، ووسائلهم الفنية، لخلق لغة جديدة خاصة بهم، لغة منبثقة من معاناتهم ووليدة تصوراتهم ورؤاهم الشعرية، مما جعل لغتهم تتميز بخصائص فنية جديدة.

إن الغموض اللفظي بنوعيه الغموض اللفظي الدلالي والغموض اللفظي التركيبي، يقف عائقا أمام المتلقي، حيث يجد صعوبة في الوصول إلى غاية المبدعين، وإبداعات الشعراء، مما يفتح النص الشعري على احتمالات وقراءات وتأويلات عديدة تتسبب في الغموض.[7]

1.1. الغموض اللفظي الدلالي:

ويعني انصراف اللفظ إلى معنى مرتبط بتجربة معينة، أو بحالة نفسية وقد ورد هذا النمط في الشعر القديم إلا أنه لم يظهر بشكل ملحوظ إلا في العصر العباسي، فقد تمثل عند بعض النقاد والدارسين في المجاز والبلاغة ...ومن أمثلة ذلك كلمة البحر فهي بالإضافة إلى دلالتها الحسية المعروفة، أطلقت على الرجل الكريم، وعلى العالم الغزير، والفرس السريع.. وغير ذلك.

يعرف الحقل الدلالي بأنه "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها . مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام" لون "وتضم ألفاظاً مثل :أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض [8]

ويعرف أيضاً بأنه" مجموعة من المفاهيم تتبني على علائق لسانية مشتركة، ويمكن لها أن تكون بنية من بنى النظام اللساني. [9]

لقد أصبحت الحقول الدلالية وتحديدها نظرية يعتمد عليها في الدراسة اللغوية، وفي دراسة التطور اللغوي، و"تعتمد هذه النظرية على فكرة تقسيم العمل الأدبي إلى حقول دلالية من خلال تحديد المفردات في مجموعات ينظمها مفهوم معين، وحسب أصحاب هذه النظرية فإن دراسة معنى الكلمة يجب أن يكون من خلال الكلمات المتصلة بها دلالياً، .فمعنى الكلمة له علاقة بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي.[10].

إن اللغة لم تعد ألفاظ تلقى، بل أصبحت الكلمة قادرة على تحريك المشاعر وإثارة الانفعالات من خلال اختزال طاقات إيحائية قادرة على مجاراة الواقع بكل ما يحمل من معطيات وتغيرات، وترويضها لترجمة تجربة الشعراء بلغة إبداعية قادرة على معايشة العصر بكل قوة وثبات، ويكون ذلك بأن يحمل اللفظ معنى مرتبطا بتجربة معينة، بحيث يخرج اللفظ عن معناه المعجمي المألوف ليحمل معان أخرى

ذات دلالات معينة متعلقة بالجو النفســي للنص، وقد انتشــر هذا النوع من الغموض عند الشعراء المعاصرين.

ومن أمثلة ذلك ما نراه في قصيدة " ليل وشوق " لأبي القاسم سعد الله يقول:

يَا ليلُ تَمهّل
وَاشْدد رِيشَك فِي الأُفق
وَاغْرُز ظُفْرَكَ فِي الصَّخر
لَا تَهْرُب ... لَا تَخْجَلْ
سَأغنِّي لنُجومِكَ
سَأنَاجِي قَمرَكَ
سَأمزِّقُ أَسْرارِي ... عَنْ نَارِي [11]

فالشاعر يخاطب الليل في غربته مغنيا لنجومه، مناجيا لقمره ويحاكيه عن أسراره وعن أشواقه ومعاناته لبعده عن أهله، فقد استخدم الشاعر لفظ الليل في غير معناه المعجمي المألوف، وبالتالي أعطاه دلالات أخرى من خلال التغني بنجومه ومناجاة قمره.

فإذا تأملنا المضامين الشعرية الواردة في الشعر العربي نجدها متأثرة بالتجربة القاسية التي يعيشها الشاعر العربي، كبعده عن وطنه والعيش في ديار الغربة، فتصبح حياته مليئة بالأحزان والشوق إلى الأهل والأحبة.

ولعل تلك التجربة هي التي تسلط الضوء الكاشف على نفسية الشاعر، لكونها تنطلق من الذات كموضوع وكجوهر ليترجمها في قصائده، ففي قصيدة " نجمة الغروب " يقول:

عَلاَمَ تَحْزَنِينَ
وَالحُبُّ وَالحَنِينُ
مِن طَبعناَ نَحنُ الذِينَ نَشْتَهِي
لِأننَا مِن طِينٍ
لِأننَا لَا نَمْلكُ الشُّعاعَ
نَتُوقُ للضِّياءِ ... نَعبدُهُ
لَكِنَّنا لَا نُدرِكهُ
لِأننَّا تُرابْ
تَهزُّنا الأَشواقُ والشِّراعُ
لِساحةِ القَمرْ [12]

نلاحظ من خلال هذا المقطع استخدام دلالات مختلفة " تحزنين، الحنين " التي يقصد بها نفسه وهو يعـيش الغـربة، كذلك" الطين، تــراب، القمر.." لها دلالات متعددة مرتبطة بنفسيته وهو يعيش الغربة والأحزان.

فهذا الانصراف اللفظي عن المعنى مرتبط بتجربة معينة، أو بحالة نفسية واعية أو غير واعية، ليس منفصلا على أطر الدلالة اللغوية.

كما وظف أبو القاسم سعد الله في ديوانه بعض القضايا الاجتماعية التي سادت عصره،إلا أن تناوله لها كان رمزيا، بعيدا عن توظيف الدلالات والألفاظ الجاهزة، وهذا ما نجده في قصيدته " الجرح والمصير" حيث يقول:

النَّاسُ والضِّياعُ والأَلَمُ
آهَةُ الغُرُوبِ والنَّدم
والنَّغمةُ الخَابِيةُ والإيقاعُ
وكُلُّ فِكرةٍ بلاَ هَدفٍ
قَدْ اخْتفَتْ مِنْ مُصحفِ التَّحرِيرِ
وَجُرِّدتْ من وَقْعهَا الحَزينِ
وجُمِّدتْ في مَتحفِ السِّنينِ
لأنَّها لاَ تَملكُ التأثِير
فِي الشَّعبِ .. في نِضَالِ الجُرحِ
فِي المَصيرِ [13]

فقد استعمل ألفاظا رمزية للدلالة على الوضع الاجتماعي، لكن هذا ما جعل النص غامضا وهو يستخدم ألفاظ دلالية مثل " آهة الغروب، فكرة بلا هدف، متحف..." قد يؤولها القارئ عدة تأويلات وبالتالي لا يصل إلى مقصدية الشاعر وهو يتكلم عن الوضع الاجتماعي. [14]

إن الشعور بالوحدة التي كان يعيشها الشاعر، ربما يعود إلى مرحلة الطفولة أو الشباب ومعاناته مع وطنــه الجريح، ولذلك جـاء قـاموسه الشعري ليعبر عن تلك الأزمات التي في نفسه، يقول في قصيدته " شك"

أَمَّا أَنَا فَالشَّكُّ دَوْمًا قَاتِلِي
الشَّكُّ فِي رِسَالَةٍ بِلاَ عُنْوانْ
وَقَادِمٍ بِلاَ لِسَان
مِن عَالَمٍ مُغلقٍ ... ظَلاَمْ
أَتِيهُ مِنْهُ في الضَّبَابِ
أَسِيرُ خُطْوتَينِ خُطوَتَينِ

هُنَاكَ شَوْكٌ يَجْرَحُ الأَقْدَامَ
يُمَزِّقُ الكَفِينْ
أُطَارِدُ الأَشْبَاحَ فِي الظَّلام
أَرَى النُّجومَ تَبْتعِدْ
أَرَى الصَّبَاحَ مَيِّتا ... قَتِيلْ. [15]

استقى الشاعر مجموعة من الألفاظ (الشك، بلا عنوان، بلا لسان، الضباب، الظلام..) دلت على فضاء أوسع من المعنى المعجمي، لتتداعي معاني جديدة متعلقة بخيال الشاعر وانفعالاته النفسية. وهذا ما يجعل هذا المقطع غامضا.

إن جميع الألفاظ في اللغة لها معنى معجميا تدل عليه، فمثلا لفظة (شجرة) تحمل مدلولا لغويا معينا، لكن معنى هذه اللفظة قد استخدم في معان عدة في كثير من قصائد الشعر الحديث، فكل شاعر يعيش تجربة وحالة نفسية خاصة يوظف هذه الكلمة حسب ما يريده من معنى، ومثل هذا الاستخدام للألفاظ يمكنه أن يطلق عليه (غموض دلالي لفظي)، حيث إنه يتعلق باللفظة المفردة بذاتها [16]

وللتوضيح أكثر لابد أن نستشهد بمثال استخدمت فيه لفظة "الشجرة" لدلالات أخرى هذا مثلا مع فدوى طوقان، فقد انصرفت دلالة هذه الكلمة عندها إلى معنى آخر، حيث تقول:

سَتَقُومُ الشَّجَرَةُ
سَتَقُومُ الشَّجرةُ والأَغْصَانُ
سَتَنْمُو فِي الشَّمْس وتَخْضَرُّ
سَتُورِّقُ ضَحِكَات الشَّجَرة [17]

فالشجرة هنا هي الأمة العربية عريقة في وجودها، فوجود الأمة ضارب في أعماق التاريخ مثل الشجرة الضاربة في أعماق الأرض، ومثل هذه الشجرة لو قص جذعها فإن جذورها قادرة على إنبات جذور وفروع أخرى ، كذلك الأمة التي أصابتها هزائم كثيرة قادرة على أن تقف على قدميها مرة أخرى وتعود أكثر مما كانت عليه في السابق ويؤكد أبو القاسم سعد الله حالة التيه والضبابية التي كان يعيشها، حيث عبر عنها في قصيدته " رحلة حزن" فيقول:

يَا رَفِيقِي
أَنَا أَحْيَا فِي ضَبَابٍ
لَمْ يُرَاودُنِي مَرَحٌ
لَمْ أُضَاحِك نَجمَةً عِندَ المَسَاء
مُنْذُ أَسْدَلنَا سِتَار
بَينَ قَلْبينَا وَطَار

مَنْ يَدْيِنَا أَمَسَّنَا
الكَنْزُ الذِي لَيسَ يُبَاعُ
يَا رَفِيقِي
كُلُّ مَا حَولِي صَمْتٌ
ودُوَارٌ وَعيَاءٌ
وَقُلُوبٌ مِنْ تُرَابٍ [18]

فهو يعلن في هذا المقطع أنه لا يراوده الفرح والمرح طول حياته، كما أنه يحيا في ضبابية مبهمة وغامضة، حيث عرفنا ذلك المعنى من خلال ضمير المتكلم " أنا " ولكن يبقى الغموض في عباراته كامنا مثل قوله" من يدينا أمسنا " وفي " الكنز الذي ليس يباع " فلا تلبي المعنى الذي يريده ما يجعل القارئ يتيه.

2.1. الغموض اللفظي التركيبي:

إن اللغة تعتبر نظاما من الرموز الصوتية، كما أن قيمة الرمز اللغوي تقوم على علاقة بين متحدث ومتلق، ومن ثمة فإن المتلقي يقوم بعملية توقع لا شعورية عقب سماع الألفاظ أو قراءتها، والشاعر عندما يصوغ جملا وتراكيب من مجموعة من الألفاظ لإيصال الفكرة أو التجربة فإنه يلجأ إلى تكثيف حضور هذه الألفاظ عن طريق التأليف بينها. فغالبا ما يكسر الشعراء أفق التوقع عند القارئ من خلال صياغة مجموعة من التراكيب المخالفة لما يتوقعه القارئ .

إن إحكام تراكيب الجملة من أهم العوامل التي تساعد على وضوح المعنى وإزالة كل لبس وغموض عنه، فأحيانا يكون الغموض الدلالي في بعض التراكيب اللغوية متعلقا بالمتلقي، وليس له علاقة حتمية بمنشئ التركيب اللغوي، لأن الغموض في الدلالة التركيبة غالبا ما ينجم عن الاشتراك في العلاقات النحوية التي تتطلب من القارئ تحليلا نحويا ملائما لحمل الوحدة الكلامية على المعنى الذي تقتضيه.[19]

كما أن الغموض اللفظي التركيبي يحدث نتيجة تصرف وتغيير في العلاقات الداخلية لمكوناته ومنها التقديم والتأخير، أو بسبب حذف أحد مكوناتها أو توظيف أنظمة الربط وغيرها مما يجعل للتركيب الواحد دلالات عدة.

لا شك أن النص الشعري غابة من التشكيلات الدلالية والرموز الإيحائية، تحمل الألفاظ حالة كونها مركبة دلالات أبعد ومعاني أكثر عما إذا كانت مفردة، فكل نص أدبي يرتكز في بنائه على مجموعة من العلاقات الدلالية، وبين ثنايا هذا البناء نعثر على بنى لفظية تركيبة تسمو بالنص وتحيله إلى معان متعددة، فالشاعر عندما يصوغ من مجموعة ألفاظ جملا، وتراكيب لإيصال فكرة فإنه يلجأ إلى ممارسة انزياحات في اللغة تدخل النص في نفق الغموض والقراءات المتعددة.

لقد جمع الشاعر العربي بين اللغة والتجربة التي عاشها، فتلاحمت من خلال هذا الاحتكاك وكونت تراكيب لفظية مليئة بالإيحاءات والمعاني المتعددة تنفجر مع كل قراءة جديدة، وحتى نوضح هذا لابد من ضرب أمثلة تطبيقية للشاعر أبو القاسم سعد الله ففي قصيدته " الفدائي"

سِلاَحُهُ فِي يَدَيهِ
وَرُوحُهُ فِي النُّجُومِ
وِقَصْدُه فِي جَبِينِهِ
وَأَرْضُهُ فِي فُؤَادِهِ
يَرَى الحَيَاةَ دَقِيقَة
يَهُزُّ فِيهَا سِلاَحُهُ
عَدُوُّهُ كُلُّ شَيءٍ
يُرِيدُ ذُلَّ بِلاَدِهِ [20]

لقد جعل الشاعر للفدائي روحه في نجومه وأرضه في فؤاده وعدوه كل شيء، فهي صورة حية لانتفاضة الفدائي الذي أهدى حياته من أجل الوطن والحياة. مستخدما في ذلك تراكيب لفظية تحدث فيها عن السلاح وأهميته أثناء الحرب، كما تحدث عن روح الشهيد التي تصعد إلى بارئها.

كما استخدم الشاعر كذلك تراكيب لفظية مكررة طغى من خلالها الغموض على أبياته الشعرية وهذا ما نجده في قصيدة " أوراس " حيث يقول:

عِشْناكَ في الحَياةِ والمُنَى
عِشْناكَ في ذَوِي الوَشْمِ والغُرر
عِشْناكَ في ذَوِي الفَتْحِ الأَغَر
عِشْنَاكَ فِي السلَّامِ الضَّاحِكِ الزَّهر
وفِي الحُرُوبِ اللاَفِحَاتِ والخَطَر
وأَنْتَ أيُّها الأَنُوفُ لاَ تُقِرْ [21]

فهذا التكرار أكسب القصيدة أهمية معنوية من خلال الرفض والصمود ومقاومة المستعمر عبر قوافل الشهداء التي تجسد حالة نفسية ومادية. كما أن تكرار الكلمات والتراكيب، ليس ضروريا لتؤدي الجمل وظيفتها الدلالية، مما انعكس على النص سلبا بالغموض اللفظي التركيبي.

كما يقول في قصيدته " الحزن"

وِحْدَتِي
لَنْ يُسْقِطَ الخَرِيفُ كُلَّ زَهْرَة
مِنْ دَرْبِنَا الطَوِيلِ

لَنْ تَخْنِقَ الرِّيَاحُ كُلَّ نَغْمة
سَكْرَانَةٌ بِحبِّنا الأَصِيل
هنُاَكَ فِي بُسْتَان الحُبِّ نَاي
أَلْحَانُهُ خَضْرَاء مَا تَزَالُ
تُسَامِرُ العُشَّاقَ والقَمَر [22]

فقد وظف الشاعر تراكيب وجملا في هذه المقطوعة " دربنا الطويل، ألحانه خضراء، بستان الحب، لن تخنق الرياح..." التي تحمل دلالات متعددة لأن الشاعر يعيش في نفسه حزنا جعله يوظف التراكيب اللغوية في غير محلها فالخريف لا يسقط الزهور، والرياح لا تخنق، فهي تراكيب أعطاها بعدا آخرا بعيدا عن معناها المعجمي والدلالي.

وفي قصيدة " سنلتقي " تعددت عنده نوافذ الجمال من جمال وخير و حب، فهو في السماء والكون والطبيعة، وهو في الطفولة والشيخوخة، حيث يقول:

رَفِيقَتِي عِنْدَ الشَّفَقِ
أَنَا وَأَنْتَ ذَرَّتَا تُرَاب
ذَرَاهُما النَّسيمُ فِي السِّحرِ
فَنَامَتَا عَلَى عِنَاقٍ
وَصَلَتَا إِلىَ القَمَرِ
وَضَمَّتَا الأَعْشَابِ وَالزَّهَر
وَغَنَّتَا لِلْحُبِّ وَالقَمَرِ
أَنَا وَأَنْتَ والشَّفَق
وِأَمْسُنِا المَدْفُون بالعَرَاءِ
وِذِكْرِيَاتُنَا العِطَاشُ فِي القِفَارِ
سَنَلْتَقِي فِي ضَمَّةِ انْتِصَارِ
غَدًا....ويسْقُطُ الجِدَارُ
وَيَمْرَحُ الطِّفْلَان مِن جَدِيدٍ [23]

من خلال هذه الأبيات نلاحظ ذلك التدفق الكثيف للمعاني التي فاقت طاقة لألفاظ والتراكيب مما ساعد على بروز الغموض فيها، فلا يكاد القارئ فهم الأبيات إلا بفهم السياق العام للقصيدة.

كما يوظف أبو القاسم سعد الله أسطورة أخرى وهي " فينوس" إلهة الريف التي تراقب الغابات والحقول، حيث غير من دلالتها وجعلها رمزا للوطن الذي يأتيه الخير لأهله وطبيعته في إشارة إلى غلبة

الحق على الباطل، وبقاء الأمل والسعادة في المجتمع الجزائري الذي فقدهما طيلة الفترة الاستعمارية، وهذا في قصيدة " أغاريد الجمال" يقول:

هَذَا رَبِيعُكِ يَا فِينُوس فَاهْتَبِلِي
عُرْسُ الطَّبِيعَة وَأَسْبَى بِالْعَنَاقِيدِ
وَضُحَى الكَوْن أَنْدَاء مُعطَّرَة
مِنَ الخُلُودِ عَلَى حُبٍّ وَتَغْرِيد [24]

فقد بشر الشاعر المجتمع الجزائري بعودة الربيع والخير لبلاده، حيث أسقط دلالة هذه الأسطورة على الظروف التي يعيشها المجتمع.

وفي قصيدته " إلى جبل الأطلس" جسد بعض المعاني المجردة وشخص المحسوسات حينما كان ينعى شهداء الثورة التحريرية الذين ضحوا بأنفسهم كي تعيش الجزائر حرة مستقلة. يقول فيها:

أياَ صَاعِداً فِي الفَضَاءِ
يُعَانِقُ وَجْه السَّمَاء
وَيَحْتَضِنُ الأُفُقَ مَدَّ البَصَرِ
خُذْ الثَّأْرَ للمَجْدِ فِي وَجْنَتِيكَ
جَرِيحًا كقَلْبِ اليَتَامَى
وَفَجِّر صُخُورَكَ نَارًا
عَلَى الغَاصِبِينَ
وأَنْقُذ بِحَولِكَ شَعْبًا
يُرِيدُ الحَيَاةَ
علَى صَدْرِكَ الدَّافِئ
طَلِيقًا كَعُصْفُورِكَ الطَّائِرِ
رَضِيًا كَجَدْولِكَ العَابِرِ [25]

فقد جسد الشاعر الشهداء وروحهم الصاعدة بأنها تعانق السماء في قوله" يعانق السماء" التي جاءت بصيغة المفرد، كما أنهم مثل اليتامى في حيرتهم وتيهـانهم في قوله" خُذْ الثَّأْرَ للمَجْدِ فِي وَجْنَتِيكَ" و "جَرِيحًا كقَلْبِ اليَتَامَى" فهي عبارات تبتعد عن المعنى الأول في قوله" وَيَحْتَضِنُ الأُفُقَ مَدَّ البَصَرِ" ولذا تجسد الغموض التركيبي رغم وجود الصورة الشعرية الجزئية.

وبالتالي فإن هذه المقاطع الشعرية لأبي القاسم سعد الله قد حفلت بمجموعة من الألفاظ والتراكيب أضفت عليها نوعـا من الغموض، يستدعي من القــارئ بذل جهد وقـراءات عديدة للوصـول إلى ما يريده الشاعر.

أشار عديد من النقاد قديما وحديثا إلى وجود فوارق بين لغة الشعر ولغة النثر، وأن لغة الشعر مغايرة في طبيعتها عن لغة النثر، فكما هو معلوم أن لغة الشعر تتمتع بخصوصية تعرف بالانحراف أو الانزياح في اللغة الشعرية، إذ تبتعد عن المعاني العادية للكلمات.

إن إشكالية الغموض تعد من المصاعب التي تواجه الناقد والمتذوق، لما وجدوه من غموض لدى بعض الشعراء الذين يرون قمة المجد أن لا يكون الشعر مفهوما، بحيث أصبح الشعر لازما من لوازم شعرهم. وصحيح أن الغموض قد ارتبط بطبيعة الشعر ذاتها حتى يمكن القول في بعض الأحيان إن الشعر هو الغموض، إلا أن الغموض هنا هو الغموض الفني الذي ينتج عنه معنى قيم وليس التعقيد والإبهام.[26]

ونحن في هذه الدراسة ذكرنا سببا من أسباب الغموض وهو الغموض اللفظي بنوعيه الدلالي والتركيبي، فإما أن يكون اللفظ غريبا فهذه الألفاظ لا يعرف معناها لندرة دورانها،أو أن يقع في الكلام تقديم وتأخير، أو يخالف وضع الإسناد فيصير الكلام مقلوبا، أو يكون الكلام مفرطا في الإيجاز أو في الطول.

خـــاتـــمة:

وما نخلص إليه أن الغموض لا يقرن دائما باللفظ المفرد، وإنما يقوم التركيب بدور كبير في إحداث الغموض في الشعر، ولا يعني غموض التركيب لأنه لا يشف عن المعنى من أول وهلة بل يعني أنه يعطي عدة معان ودلالات.

إن قضية الغموض قد اهتم بها النقاد والدارسين العرب، وتناولوها بالبحث والدراسة منذ وقت مبكر، وإن لم تكن تلك الدراسات كاملة ومستقلة، إلا أننا نستطيع أن نعلم أن مواقف الدارسين تجاه الغموض اختلفت، فهناك من نفر منه، وهناك من رآه ميزة لابد منها في الشعر.

وقد تناولت في هذا البحث ظاهرة الغموض اللفظي بشيء من التحليل من خلال التمثيل لها بنماذج من شعر أبو القاسم سعد الله، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج:

-أن الغموض اللفظي ظاهرة قديمة وحديثة في آن واحد، ترتبط بالأدب بشكل عام وبالشعر بشكل خاص.

- كثرة المصطلحات الدالة على الغموض وارتباطها بالغموض اللفظي الدلالي والغموض اللفظي التركيبي.

- أن الغموض اللفظي بنوعيه له جانب سلبي عند تعدد معاني النص ودلالاته وصعوبة تحديد معناه، وجانب إيجابي يعتبره الدارسون ميزة وخاصية شعرية لابد منها.

الهوامش:

1 . ينظر، ابن منظور . لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ص .630

2 . ينظر، الأزهري ، تهذيب اللغة، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ص .252

3 ينظر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981م، ص: 210.

4 . ينظر، عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ، دار الفكر العربي، ط3، (دت) ص .189

5 . ينظر، وليم أمبسون، سبعة أنماط من الغموض، ، المجلس الأعلى للثقافة، (د ط)،2000، ص 22.

6 . ينظر، أحمد محمود حماد، الغموض في الدلالة، ، كلية دار العلوم،(د ط)، 1986، ص .34

7 . ينظر، سماح أحمد حليم ، الغموض في الشعر الفلسطيني بعد علم 1987، ، الجامعة الإسلامية بغزة،2017، ماجستير ص 129.

8 . ينظر، أحمد مختار عمر ،علم الدلالة .، عالم الكتب، القاهرة،(د ط)، 1985، ص79

9 . ينظر ، أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات .، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د ط) ،1994، ص164 .

10 . ينظر، يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، ، منشورات العالم العربي، دمشق ، ط1 ،1985، ص 194،195.

11 . ينظر، أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ، عالم المعرفة، الجزائر (د ط) ،2010 ص 303.

12 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص .359

13 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص.355

14 . ينظر، الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام 1987، المرجع السابق، ص .132

15 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص .325

16 . ينظر، خالد سليمان، أنماط من الغموض في الشعر العربي الحر، دار الفكر العربية، القاهرة، (ط)، 1986، ص .57

17. ينظر، ديوان فدوى طوقان، دار العودة، بيروت (د ط)، 1978م ص .341

18 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص .189

19 . ينظر، مسعد بن عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، ، مكتبة الملك فهد الوطنية، تبوك، ط2، ص165.

20 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص 250 ،.251

21 . ينظر، ديوان الزمن الأخضر ، ص .267

22 ينظر، ديوان الزمن الأخضر، ص .287

23 ينظر، قصيدة سنلتقي، ديوان الزمن الأخضر، ص: .317

24 ديوان الزمن الأخضر، ص .84

25. قصيدة إلى جبل الأطلس، ديوان الزمن الأخضر، ص .215

26 ينظر، مسعد بن عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، المرجع السابق، ص 168.